المنحى التداولي في "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" لـ "بديع الزمان سعيد النورسي"

The pragmatic approach in the book entitled : Isharat Al Iajaz Fi Madhan El Ijaz - by Badiuzzaman Saeed Nursi.

أسماء زروقي [1]

[1] جامعة بسكرة (الجزائر) asma.zerouki@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/06 تاريخ القبول: 2021/10/22 تاريخ النشر: 2021/12/20

ملخص : يتناول المقال المنحى التداولي في تفسير "النورسي" الموسوم بـ" إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، حيث كانت القضايا التداولية محور هذا المقال مع التركيز على حال المفسر ، وتفسير النص بلغته من خلال نظرية أفعال الكلام ومقتضيات القول، وتفسيره النص بالنص من خلال التطرق إلى مظاهر الحجاج؛ كالاحتجاج بالقرآن والسنة والقول المأثور، والحجاج بالتمثيل، إضافة إلى ذكر إشارات "النورسي" لأسباب النزول التي تندرج ضمن السياق الخارجي؛ الذي يعدّ أحد أسس التداولية.

الكلمات المفتاحية: التداولية؛ التفسير؛ أسباب النزول؛ السياق الخارجي؛ مقتضيات القول

Abstract: The article deals with the pragmatic approach in the interpretation of the writer Nursi in his book entitled : Isharat Al Iajaz Fi Madhan El Ijaz, where the pragmatic issues were the axis of this article with a focus on the situation of the interpreter, the interpretation of the text in its language through the theory of speech acts and the requirements of the saying, the interpretation of the text by text by touching on the arguing aspects, such as arguing from the Qur'an, the Sunnah, the adage, and by giving examples, in addition to that the Nursi mentioned the reasons of descent that fall within the external context, which is one of the foundations of pragmatics.

Keywords: pragmatics; interpretation; reasons for descent; external context; requirements of saying.

المؤلف المرسل: أسماء زروقي، **الإيميل**: asma.zerouki@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

يعدّ تفسير "بديع الزمان سعيد النورسي" "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" من أهم تفاسير القرآن الكريم التي تجمع بين علوم اللغة (النحو ، البلاغة، الدلالة، التداولية)؛ إذ يتجلى فيه المنحى التداولي، وللكشف عن ذلك ارتأينا دراسة هذا التفسير من جانبين؛ تفسير النص بلغته، وتفسير النص بالنص، وقبل ذلك لابد من التطرق إلى علاقة التداولية بعلوم التفسير.

2. التعريف بصاحب التفسير "بديع الزمان النورسي":

هو سعيد بن ميراز بن علي بن خضر بن ميراز خالد بن ميراز شان، وهو من أبوين كرديين صالحين، يضربُ بهما المثل في الورع والتقوى، ولد في قرية (نورس) سنة 1293هـ- 1873م، الواقعة شرق الأناضول كردستان تركيا. (عبد الرحمن، دت، الصفحات 162-163)

عرف عليه الإرشاد والإصلاح بين القبائل ولم يكن يركن للحكام والأمراء، ولم يحل صغر سنه دون مواجهتهم ونصحهم للإقلاع عن ظلم الرعية. أنشأ جامعة إسلامية في كردستان تحت اسم " مدرسة الزهراء"، كانت مركز خدمة القرآن الكريم على غرار الجامع الأزهر بمصر. (الكيلاني و الصميدعي، 2014، الصفحات 13-16) .

1.2 أهم مؤلفاته:

ألف رسائلا في موضوعات العقيدة الإسلامية وجزئياتها سمّاها برسائل النور، وبفضل ثقافته الواسعة في العلوم الإسلامية وهضمه للمعارف في عصره وذكائه الحاد وخياله الواسع، حدد بهذا الطريق أمامه لإملاء تلك الرسائل التي استوحاها من القرآن مباشرة، ولم تكن عنده المصادر العلمية التي يعتمد عليها لأنه كان في سجن ونفي مستمرين.ويتجاوز عدد تلك الرسائل مائة وثلاثين رسالة باللغة التركية وهي: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات، والملاحق، وهناك رسائل كتبها بالعربية وهي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، وإحدى عشرة رسالة فمنها المثنوي العربي النوري، والصقيل الإسلامي، والخطبة الشامية، ويذكر أن رسائل النور استغرق تأليفها من سنة 1926 إلى 1950م.

مرض النورسي مرضا شديدا توفي على إثره يوم الأربعاء 26 رمضان 1379 الموافق لـ: 1960/03/23 رحمه الله. (عبد الرحمن، دت، الصفحات 164-169) و (الكيلاني و الصميدعي، 2014، صفحة 16)

2.2 الظروف الخارجية لنشأة الكتاب:

لقد عاصر النورسي مرحلة مليئة بالاضطرابات وكلها كانت معادية للخلافة العثمانية التي يمثلها السلطان عبد الحميد الذي بذل جهودًا كبيرة للحفاظ على الخلافة الإسلامية لكنها كانت جهودا متأخرة، جاءت بعد نجاح الدول الأوروبية في التمكين لجمعية الإتحاد والترقي التي كانت تتغنى بشعار الحرية، الإخاء، المساواة، وقد تمكنت من الانقلاب على الخلافة من داخلها، وأشركت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى بلا مبررات، وخضعت استنبول آنذاك للإنجليز، حيث اندلعت حرب الاستقلال التي خاضها الشعب التركي لتحرير بلاده، وكان بديع الزمان في مقدمة الصفوف وقد ألف إشارات الإعجاز في ثغور القتال. (الصالحي، 1999، الصفحات 12-16)

3. التداولية و علاقتها بعلوم التفسير:

لتوضيح العلاقة بين التداولية و علم التفسير تجدر الإشارة إلى كل منهما.

1.3 التداولية:

تعد التداولية «علما جديدا للتواصل يدرس الظاهرة اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره» (صحراوي، 2005، صفحة 16)، والتداول في مفهوم طه عبد الرحمان «جامع بين اثنين هما التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل» (الرحمان، دت، صفحة 244)، فالتداولية ليست علما لغويا محضا و إنما هي تلاقي مجموعة من العلوم غرضها الوصول إلى المعنى الظاهري و المعنى الباطني للنصوص من خلال الاهتمام بالسياقين الداخلي و الخارجي.

2.3 علم التفسير:

يعرفه الزركشي بقوله: «علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ» (الزركشي، 1990، صفحة 13)، فغرض النص التفسيري الوصول إلى فهم النص المفسر ،و ذلك بالاعتماد على عدة علوم أهمها علم اللغة بأنواعه، كما يهتم بالسياق الخارجي المتمثل في أسباب النزول.

من خلال ما تقدم تتضح العلاقة بين التداولية و البحث في الدراسات الإسلامية و نقصد هنا علوم التفسير «إذ يمكننا الاطمئنان من جهة على أن دراسة المفسرين و تفاسيرهم تداولية قطعا، فقد استأثروا بفهم طرق تأليف اللفظ ووجه استعمال الكلام، و بفهم مقاصد الخطاب و سياقه و أغراضه كما بحثوا في المعنى وأنواعه ومن هذه الزوايا ينخرط الخطاب التفسيري في مقولات التواصل/ الحوار/ المعنى/ التأويل، وهي مفاهيم لا ينفك الدرس التداولي يثريها، يضاف إلى هذا أن العقيدة الإسلامية عقيدة سلوكية في أصلها، ومن جانب آخر يشترك خطاب التفسير و علمه مع التداولية في البحث عن المعنى، فالتداولية تبحث عن المعنى في علاقته مع الفعل المترتب عن القول، و خطاب التفسير يقوم على الغرض والمقاصد التي تتنوع بحسب الاعتقادات و المعارف من جهة و بحسب متداولي الخطاب من جهة أخرى وهاتان النقطتان تشكلان قاعدة للتأويل و الفهم في علوم التفسير و في التداوليات اللسانية و المعرفية» (الرحموني، دت، صفحة 6)، إضافة إلى ذلك فإن «الاعتبارات اللغوية التداولية التي اتخذها علماء التفسير أداة لتقنين المعنى وحصره في النص القرآني، تعد من صلات القرابة بين علم التفسير والتداولية» (الرحموني، دت، صفحة 7).

4. تفسير النص بلغته عند "النورسي":

ركز "النورسي" في تفسيره للقران الكريم على بيان إعجاز بلاغته من خلال نظمه، هذا الأخير الذي يشترط تآلف اللفظ مع المعنى؛ أي الاهتمام بالسياق الداخلي الذي لم تهمله التداولية، وسنبين مميزات هذا التفسير من خلال عدة قضايا أهمها:

1.4 أفعال الكلام:

تشكل قضية أفعال الكلام أهم القضايا التداولية ؛ إذ يدل الفعل الكلامي كل ملفوظ يقوم على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعدّ نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قوليه Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes Illocutoires كالطلب والأمر والوعد والوعيد ،وغايات تأثيرية Actes perlocutoire تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب ومن ثم إنجاز شيء ما (صحراوي، 2005، صفحة 40). ونمثل لذلك بتفسيره للآيتين الآتيتين قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾(البقرة/21-22).

إذ يقول "النورسي" في تفسيره للأفعال في الآيتين : «أما النداء في {يا} فلأن المنادى هو الناس المشتمل على الطبقات المختلفة من الغافلين والغائبين والساكنين والجاهلين والمشغولين والمعروضين والمحبين والطالبين والكاملين، يكون هذا النداء للتنبيه وكذا للإحضار، وكذا للتحريك، وكذا للتعريف، وكذا للتفريغ، وكذا للتوجيه، وكذا للتهييج، وكذا للتشويق، و كذا للازدياد، و كذا لهز العطف فللتنبيه عدة مواضع تختلف باختلاف المقام» (النورسي، 2002، صفحة 159). ونشير إلى أن أداة النداء كما هي معروفة تنوب عن الفعل "ادعوا" أو "أنادي" فالفعل الكلامي في بداية الآية هو فعل تأثيري تتمثل قوته الإنجازية في تنبيه المخاطبين وتهيئتهم لتلقي الخطاب ويسترسل "النورسي" في إعطاء بعد لهذا الحرف فيقول: «أما البعد في {يا} مع أن المقام مقام القرب فإشارة إلى جلالة وعظمة أمانة التكليف....وأيضا إيماء إلى بعد درجة العبودية عن مرتبة الألوهية.... وأيضا تلويح إلى شدة غفلة البشر» (النورسي، 2002، صفحة 159).

أما الفعل الكلامي الثاني في الآية الأولى فهو فعل إنجازي (أمر) تتمثل قوته في دعوة المتخاطبين إلى عبادة الله الخالق؛ إذ بين "النورسي" غرض هذا الفعل «أما اعبدوا فبحكم جوابيته للنداء العام مناداة للطبقات المذكورة يدل على الإطاعة ويشير إلى الإخلاص، ويرمز إلى الدوام، و يلوح إلى التوحيد، أي

أطيعوا واخلصوا... واثبتوا... وازدادوا... ووحدوا... » (النورسي، 2002، صفحة 159) ، وأما الفعل الكلامي في بداية الآية الثانية: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ فهو فعل تقريري يبين ويقر عظمة الله، إذ يقول "النورسي": «أما هيئات ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ﴾ فاعلم أنها إشارة إلى التهييج على العبادة ببيان عظمة قدرة الصانع وإلى التشويق عليها بالامتنان كأنه يقول: "أيها الإنسان إن الذي سخر لك الأرض والسماء يستحق أن تعبده"، وكذا إيماء إلى فضيلة البشر وعلو قيمته ومكرميته عند الله» (النورسي، 2002، صفحة 161). ثم ينتقل إلى الفعل الكلامي الثاني في الآية الثانية فيقول: « وأما نظم هيآت ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾؛ أي لأنه هو المعبود فلا تشركوا، ولأنه هو القادر المطلق والأرض والسماء قبضته فلا تعتقدوا له شريكا؛ ولأنه المنعم فلا تشركوا في شكره، ولأنه هو خالقكم فلا تتخيلوا له شريكا أما (تجعلوا) بدل تعتقدوا فإشارة إلى معنى: ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا﴾» (النورسي، 2002، صفحة 164). فالفعل الكلامي في هذه الآية هو فعل إنجازي يتمثل في النهي، وقد تضمن ملفوظ الآية إلى جانب ذلك قوة التوبيخ.

2.4 متضمنات القول (القول المضمر):

يعد من القضايا التداولية، وهو خروج الملفوظ عن معناه الحقيقي إلى عدة معاني استنتاجية ذهنية يجتهد المتلقي في التعرف عليها، فهي معاني ذات طبيعة غير مستقرة توافق الحالة التي تصدر عنها، فالقول المضمر يمكن أن يوصف بالتأويل (ذهبية، 2012م، صفحة 135). ونجد أن "النورسي" خرج في مواضع كثيرة من دائرة التفسير إلى التأويل في كتابه

(إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز)، ونشير إلى أن العلماء تباينت أقوالهم في التفرقة بين المصطلحين (تفسير/تأويل).

* «فمنهم من يقول: إن التفسير ما اقتصر على الرواية بالمأثور والإتباع والسماع ، وإن التأويل هو ما يتعلق بالدراية والاستنباط.

* ومنهم من يرى أن التفسير هو معرفة معاني الألفاظ الظاهرة، و كذلك الباطنة التي يبحث عنها التأويل وهو في حد ذاته تفسير أيضا» (الغفار، 2000، صفحة 18). و أهم ما أشار إليه "النورسي" في ذلك:

أ–تفسير الحروف المتقطعة في القران الكريم:

إذ يقول في تفسير هذه الحروف:

« إنّ **{ الم }** إشارة إلى نهاية الإيجاز الذي هو ثاني أساسي الإعجاز، وفيه لطائف منها :

* أن النصف المأخوذ أكثر استعمالا من المتروك.

* أن القران الكريم كرر من المأخوذ ما هو أيسر على الألسنة كالألف و اللام .

* ومنها أن التهجي أساس القراءة ومبدؤها، فيومئ إلى أن القرآن مؤسس لطريق خاص، ومعلم لأميين » (النورسي، 2002، صفحة 41).

وهنا أعطى "النورسي" عدة تأويلات تؤكد إعجاز القرآن الكريم في لفظه.

ومنها كذلك أن « { الم } يرمز ويشير ويلوح ويلمح بالقياس التمثيلي المتسلسل إلى أن هذا كلام الله الأزلي نزل به جبريل على محمد عليهما أفضل الصلاة والسلام، لأنه كما أن الأحكام المفصلة في مجموع القرآن قد ترتسم في سورة طويلة إجمالاً وقد تتمثل سورة طويلة في قصيرة إشارة ، وقد تندرج سورة قصيرة في آية رمزاً ، وقد تندمج آية في كلام واحد تلويحا، وقد يتداخل كلام في كلمة تلميحا، وقد تتراءى تلك الكلمة الجامعة في حروف مقطعة كـ (سين ولام وميم) » (النورسي، 2002، صفحة 43).

ب– تفسيره للآية القرآنية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (**البقرة/17**).

يقول "النورسي": « وأما (استوقد) ، فسينه إشارة إلى التكلف والتحري، وفي إفراده مع جمع الضمير في (نورهم) رمز لطيف إلى أن فردًا يوقد لجماعة ، ولقد ألطف في الإفراد إيقادًا ، والجمع استنارة، وأما (نارًا) بدل (المصباح) أو غيره فإشارة إلى المشقة في نور التكليف، ورمز إلى أنهم يوقدون تحت النور

الظاهري نار فتنة، وأما تنكيره فإيماء إلى شدة احتياجهم حتى أنهم يرضون بأية نار كانت» (النورسي، 2002، صفحة 130).

وفيما يلي بيان القول المضمر من كلمة نار حسب تفسير "النورسي" :

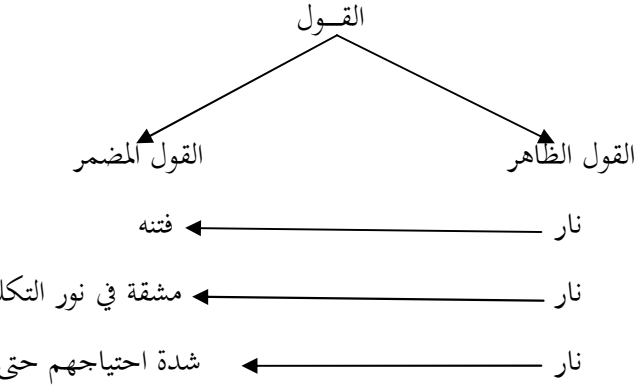

3.4 مراعاة حال السامع :

يعد المتلقي أو السامع أحد أهم عناصر العملية التواصلية الذي توليه التداولية اهتماما كبيرا. وحال السامع يتضمن (الجنس ، المستوى العقلي ، المستوى الاجتماعي ، السن ، الحالة النفسية).

وللنورسي عدة مقولات تعد دليلا قاطعا على مراعاة حال السامع منها: «إذ القرآن ما نزل لأهل عصر فقط بل لأهل جميع الأعصار ولا لطبقة فقط بل لجميع طبقات الإنسان، ولا لصنف فقط بل لجميع أصناف البشر ولكل فيه حصة و نصيب من الفهم ، والحال أن فهم نوع البشر يختلف درجة درجة... وذوقه يتفاوت جهة جهة ... وميله يتشتت جانبا جانبا ... استحسانه يتفرق وجها وجها... ولذته تتنوع نوعا نوعا وطبيعته تتباين قسما قسما، فكم من أشياء يستحسنها نظر طائفة دون طائفة وتستلذها طبقة ولا تتنزل إليها طبقة وقس، فلأجل هذا السر، و الحِكمةُ أَكْثرَ القُرآنُ من حذف الخاص للتعميم ليقدر كل مقتضى ذوقه واستحسانه، ولقد نظم القرآن جمله ووضعها في مكان ينفتح من جهاته وجوه محتملة لمراعاة الأفهام المختلفة، ليأخذ كل فهم حصته وقس» (النورسي، 2002، صفحة 49).

ومنها تفسيره للآية: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة/3)؛ إذ يقول: «ثم إنه أقام (يقيمون) مقام (المقيمين) لإحضار تلك الحركة الحياتية الواسعة و الانتباه الروحاني

الإلهي في العالم الإسلامي إلى نظر السامع، ووضع تلك الوضعية المستحسنة و الحالة المنتظمة من نواحي نوع البشر نصب عين الخيال ليهيج ويوقظ ميلان السامع للتأسي » (النورسي، 2002، صفحة 52) ؛ فأي خطاب مهما كان نوعه موجه إلى مستمع مفردا كان أو جمعا لا بد فيه من مراعاة حالته ليصل إليه الخطاب بكل سهولة، وتتم عملية الفهم التي تترتب عليها عدة آثار تؤدي إلى استمرارية التواصل والتفاعل بين المتلقي والسامع.

5. الحجاج عند "النورسي":

يعد الحجاج مفهوما بلاغيا قديما برز الاهتمام به بعد الثورة اللغوية المعاصرة، وما رافقه من تطور للدراسات البلاغية بصفة خاصة، وتعد المدرسة البلجيكية الرائدة في مجال الدراسات البلاغية عامة والحجاجية خاصة (الأمين، 2004، صفحة 15).

والحجاج يعني بصفة عامة «دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم» (الأمين، 2004، الصفحات 15-16).

ويعد الاحتجاج صورة من صور الحجاج، ونقصد بالاحتجاج هنا الاستشهاد على صحة أو دقة تفسيره لآية معينة من خلال النصوص، وأورد "الزركشي" معنى الاحتجاج في القرآن الكريم بقوله: «هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية، تقطع المعاند له فيه» (الزركشي، 1990، صفحة 512)، ولقد غلب على تفسير "النورسي" الحجاج بالتمثيل ونقصد به (تفسير النص بالنص)، الذي يعد في النظرية الحجاجية نوعا من الحجاج بالسلطة؛ ذلك أنه يعتمد النصوص القرآنية، أو النبوية، أو نصوص الصحابة رضي الله عنهم، أو الاستشهادات بأقوال العلماء كأسلوب للإقناع الخطابي، والهدف منه هو تقوية درجة التصديق بالآية الكريمة، وفيما يلي نورد نوعين من الحجاج عند "النورسي" في تفسيره.

1.5 الحجاج بالسلطة (تفسير النص بالنص):

إن التداولية باعتبارها حقلا لسانيا يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للغة، فهي تأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمخاطب والسياق وشروط التخاطب، والهدف من الخطاب مما يسمح بتوسيع النظر في قضية اللغة ذاتها نحو مزيد من الفهم لكيفيات الإنشاء والتأويل على حد سواء (شبكة ضياء)، وباعتبار

الحجاج أحد قضايا التداولية الذي يسعى إلى بيان معنى النص، فإن المفسر مجتهد في تبيين ذلك على أساس من القواعد العلمية الأصولية، فالخطاب التفسيري « هو مقول ونوع خطابي تواصلي أو حدث مقصدي ذو أبعاد إنسانية اجتماعية، له بنية معرفية حوارية ملونة بلغة منطوقة ومكتوبة فلا ينفصل النص المفسِّر (الوسيط الرسمي للمتلقي) عن النص المفَسَّر (النص الأم/ النص المركزي للباث) من ناحية، وعن الأدوات النظامية التي تسمه بصفة الحدث التواصلي من ناحية أخرى، فهو قول على قول يستدعي معرفة بأصله أولا وقول على قول تحكمه القواعد اللسانية اللغوية ثانيا» (الرحموني، دت، صفحة 2).

ولقد أجمع العلماء على أن النص القرآني لا يفسر إلاّ بقرينة لغوية أخرى؛ إما نصا قرآنيا أو حديثا أو نصا مأثورا عن القرون الثلاثة الأولى للإسلام (الرحموني، دت، صفحة 14).

وهنا يقول الإمام "الشاطبي" « فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، ومن كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل» (تحقيق، دت، صفحة 289)، والسبب في هذا أن المعاني والفهم الصحيح لا يحوزه المتأخرون أفضل من الأولين لعلة الفرق الزمني بين زمن نزول الوحي، وبين زمننا، وهذا أقرب ما يكون في الدرس التداولي المعاصر إلى السياق اللغوي (الرحموني، دت، صفحة 14).

وسئل شيخ الإسلام "ابن تيمية"، (ت 671 هـ) عن أحسن طرق التفسير، فأجاب « إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان، فإنه قد فُسّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في مكان آخر» (ابن تيمية، 1997، صفحة 93) .

أ- الاحتجاج بالقرآن الكريم:

ويستشهد "النورسي" بالقرآن الكريم في تفسير القرآن للتدليل على صحة التفسير من جهة، وللتدليل على تماسك النص القرآني وتناسبه من جهة ثانية، ولإقناع المتلقي -والذي يمثل أحد أقطاب العملية التواصلية التي تُعنى بها التداولية- بما يذهب إليه في تأويل الآية القرآنية من جهة ثالثة، ونقول إن الاستشهاد بالقرآن في تفسير هو تشبيه آية بأخرى في بعض الملابسات التي يتقاسمانها (أعرضي، 1436 هـ - 2015م، صفحة 199).

ومن الصيغ التي يوظفها "النورسي":

صيغة (يدل): صرح "النورسي" في كتاب " إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز"، عند تفسيره للآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (**البقرة/30**). « **إنّ "إنّ" بناء على كونها لرد التردد المستفاد من " أتجعل" إشارة إلى عظمة المسألة وأهميتها، وإنّ ياء المتكلم وحده هنا مع "نا" للمتكلم مع الغير في "قلنا" في الآيات الآتية إشارة إلى أن لا واسطة في إيجاده وخلقه كما توجد في خطابه وكلامه. ومما يدل على هذا النكت آية** ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء/105)» (النورسي، 2002، صفحة 243).

صيغة: (يصدع عن هذا): وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة/05)، قال: «"يصدع عن هذا"﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود/112)» (النورسي، 2002، صفحة 33).

صيغة: (يفسّره): كما في قوله: «وما أجمل في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة/05) يفسره: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء/69)؛ إذ القرآن يفسر بعضه بعضا» (النورسي، 2002، صفحة 43).

ب- الاحتجاج بأسباب النزول:

عرّف "السيوطي" سبب النزول بقوله:« هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه» (السيوطي، 1988، صفحة 90) ، وتعد معرفة هذا العلم « من الشروط الأساسية للمفسر إذ لا يمكن القول في التفسير إلا بعد معرفة أسباب النزول» (بن عثمان، 1997، صفحة 53).

وللنورسي إشارات لأسباب نزول الآيات دون إحالة إلى مصادرها؛ كقوله في تفسيره للآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة/4)، «ثم إن وجه نظم هذه الآية بسابقتها: التخصيص بعد التعميم، ليعلن على رؤوس الأشهاد شرف من آمن من أهل الكتاب،

وليردّ يد استغناء أهله في أفواههم، وليأخذ يد أمثال عبد الله بن سلام، ويشوّق غيره لأن يأتمّ به» (النورسي، 2002، صفحة 56).

ومقتضى قوله أن " عبد الله بن سلام" هو المعنى بالآية، إذ يذكر في حاشية الكتاب أنه صحابي أسلم عند قدوم النبي ﷺ، وكان اسمه (الحصين) فسماه (الرسول ﷺ) عبد الله، ثم يشير إلى مصدر الإصابة (4725) (النورسي، 2002، صفحة 56).

ج- الاحتجاج بالأحاديث النبوية:

يعد تفسير القرآن بالسنة النبوية وبالأخص بالأحاديث النبوية من أحسن طرق التفسير؛ لأنها شارحة موضحة له (ابن تيمية، 1997، صفحة 93)، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء/105).

والدليل على ذلك من السنة، قوله (ص): «ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه» (الهندي، 2010، صفحة 88).

ويستشهد "النورسي" بالحديث النبوي، ويحتج به للاستدلال على المعنى التفسيري.

من ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النّاس وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(البقرة/23-24) وذلك عند حديثه عن حقيقة نار جهنم يقول "النورسي": « عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «اشتكت النار إلى ربّها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فجعل لها نفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فشدّة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدّة ما تجدون من الحرّ من سمومها» رواه البخاري، كتاب الإيمان، وابن ماجه، والترميذي» (النورسي، 2002، صفحة 185).

د- الاحتجاج بأقوال الصحابة:

يشمل التفسير بالمأثور طريقة الصحابة والتابعين في فهم كتاب الله تعالى، واستخراج أحكامه (أعرضي، 1436 هـ - 2015م، صفحة 213)، فأقوالهم دليل على رسوخ علمهم كيف لا؟ وهم من تلقى العلم مباشرة من سيد المرسلين ﷺ، فَهُم أكبر حجة يستدل إليها العالم في توثيق ما يقوله،

ويستدل بها على صواب ما يذهب إليه من تأويل (أعرضي، 1436 هـ - 2015م، صفحة 214)؛ لأن تفسير الصحابي الذي يشهد الوحي: « له حكم المرفوع» (السيوطي، 1988، الصفحات 174-181).

يحتج "النورسي" بالمأثور احتجاجه بالقرآن والسنة لتحقيق الإقناع لدى المتلقي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللّه إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة/23)، وهو في معرض التحدث عن معجزات ﷺ يقول: « إنه لما قال "يا أيها الناس" لإثبات التوحيد -على تفسير ابن عباس- أثبت بهذه نبوة محمد ﷺ الذي هو من أظهر دلائل التوحيد» (النورسي، 2002، صفحة 179). ونجده في معرض آخر يورد بيت شعر ينسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليدعم به فكرته في توحيد الله عز وجل والاعتراف بآلائه والنظر في ملكوته يقول "النورسي":« وحركةُ الكلّ بالانتظام على محور نظام واحد تلوّح بل تصرّح بأن صانع هذه الماكينة الواحدة واحد، وتتلو على كلّ وفي كلّ شيء له آيةٌ تدلُّ على أنَّه واحدٌ » (النورسي، 2002، صفحة 154)

2.5 الحجاج بالتمثيل:

يورد "النورسي" في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَايُبْصِرُونَ﴾ (البقرة/17) فصلا (في مواقع التمثيل وتأثيره) يقول فيه: «إن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبّهة، وكسبها منقبة، (...) وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها (...) فإن كان ذمًّا كان مسّه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أحد، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر» (النورسي، 2002، صفحة 115).

ويقول "النورسي" أن هذه الآية أتت في مقام الاحتجاج والاستدلال (النورسي، 2002، صفحة 115).

ثم يصف الآيات التي فيها التمثيل في القرآن الكريم على شاكلة الآية بقوله:«إن في كل آية من هذه الآيات التمثيلية طبقات ومراتب وصورا وأساليب متنوعة، كلّ منها كفيل وضامن لطائفة من الحقائق» (النورسي، 2002، صفحة 115) ، هذه الحقائق التي يأتي المثل لتحقيقها، يقول بيرلمان

(Perlman) «المحاججة بواسطة المثل تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لتحقيقها» (Perelman, p. 471). ثم يدعّم "النورسي" قوله بأن التمثيل من شأنه أن يقنع فيقول:«كذلك في كلّ من تلك الآيات من المقصد الأصلي إلى الأسلوب التمثيلي قد شرعت إشارات ومدت رموز إلى مقامات كأن أصل المقصد تدحرج في المراتب، وأخذ من كلٍّ لونا وحصّة، حتى صارت تلك الكلمات من جوامع الكلمات بل من جمع الجوامع» (النورسي، 2002، صفحة 117).

إذن فالهدف من المثل هو تقوية درجة التصديق بفكرة أو أطروحة أو معلومة تقدم ما يوضّح القول العام ويقوي حضوره في الذهن (عشير، دت، صفحة 95)؛ لأن هناك علاقة بين القول والتمثيل تتمثل في التشبيه، يقول "النورسي" عن ذلك: «ثم إن أ ساس التمثيل هو التشبيه، ومن شأن التشبيه تحريك حسّ النفرة أو الرغبة أو الميلان أو الكراهية أو الحيرة أو الهيبة (...)، فبصورة الأسلوب يوقظ الوجدان وينبّه الحس بميل أو نفرة» (النورسي، 2002، صفحة 118)، إذن فالمثل حجة جاهزة كما يقول "أبو بكر العزاوي" أو هو حجة لها قوة حجاجية عالية، وبعبارة أخرى حجج سلطة (Arguments d'autorité) تخدم نتائج معينة من الخطابات (مومنين، 2020).

ثم ينتهي "النورسي" إلى وضع صورة لتباين درجات تلقي الخطاب عند الناس، وأن التمثيل من شأنه أن يكسر تلك الحواجز في الفهم بقوله: «إنّ ما يحوّج إلى التمثيل عُمقُ المعنى ودقَّتُهُ ليتظاهر بالتمثيل، أو تَفَرُّقُ المقصدِ وانْتشَارُهُ لِيَرْبُطَ به، ومن الأول متشابهات القرآن؛ إذ هي عند أهل التحقيق نوع من التمثيلات العالية وأساليب لحقائق محضة ومعقولات صرفة؛ ولأن العوام لا يتلقون الحقائق في الأغلب إلا بصورة متخيلة، ولا يفهمون المعقولات الصرفة إلا بأساليب تمثيلية لم يكن بدّ من المتشابهات كـ: ﴿استوى على العرش﴾ لتأنيس أذهانهم ومراعاة أفهامهم» (النورسي، 2002، صفحة 118).

وفي هذه الآية نورد مقطعا منها، يعطي "النورسي" تمثيلا كي يقنع المتلقي بتفسيره لها.

قوله: «وأمّا "الذي"، فإن قلت: كيف أفرد مع أنّهم جماعة؟

قيل لك: إذا تساوى الجزء والكل، والفرد والجماعة، ولم يؤثر الاشتراك في صفة الفرد زيادة ونقصانا جاز الوجهان، مثل: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾ ففي إفراده إشارة إلى استقلال كل فرد في تمثُّل الدّهشة، وتصوير شناعتهم، أو كان "الذي" "الذين" فاختُصرْ» (النورسي، 2002، صفحة 129).

والمعنى أن الآية الكريمة ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً ﴾ تشبه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، فالممثّل في الآيتين جمع، " مثلهم"، "مثل الذين"، والمشبه به مفرد "الذي"، "الحمار"، ووجه الشبه هو الاشتراك في الصفة، ففي الآية الأولى اشتراكه معهم في ضلالهم وحرمانهم من نور الله، وفي الآية الثانية اشتراكم معهم في عدم فقههم وتخليهم عن الأمانة التي وُكّلوا بها.

6. خاتمة:

من خلال هذا المقال تبيّن أن المنحى التداولي في تفسير "النورسي" يتجلى في:

القضايا التداولية كأفعال الكلام ومتضمنات القول، ومراعاة حال السامع أثناء التفسير.

ارتكاز مقولاته على السياق الخارجي للنص؛ إذ يطبع على تفسيره في كثير من المواضع تأثّره بالسياق الخارجي الذي ألفّ فيه مؤلفه؛ حيث يسقط تأثير الأحداث التي كان يشهدها من مقاومة العدو في ثغور الجهاد على تفسيره لبعض الآيات، حينما يتحدّث عن الظلم والمظلوميّة وتحدي العدو وأن العاقبة للمتقين.

اهتمام "النورسي" بالحجاج بالسلطة الذي يتمثل في مظاهر الاحتجاج بالنص؛ حيث أخذ الاحتجاج بالنص القرآني تفسيرا للنص القرآني القسط الأوفر من أنواع تفسير النص بالنص.

يذكر "النورسي" في كثير من المواضع دور التمثيل، وأثره في تقوية درجة تصديق تفسيره للآية الكريمة؛ ويبيّن أنه من شأنه تحريك حسّ النفرة أو الرغبة أو الميلان أو الحيرة أو الهيبة، وينتهي إلى أنه من شأنه أن يكسر تلك الحواجز في الفهم تأنيسا لأذهان الناس، ومراعاة لأفهامهم.

7. قائمة المراجع:

1 إحسان قاسم الصالحي. (1999). *بديع الزمان سيعد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره* (الإصدار 1). الدار البيضاء،المغرب: مركز رسائل النور للنشر.

2 أحمد عبد الغفار. (2000). *التفسير و مناهجه و النص و تفسيره*. الإسكندرية: دار المعارف الجامعية.

3 أحمد قاسم عبد الرحمن. (دت). *سعيد النورسي وأثره في تفسير القرآن الكريم*. العراق: مجلة جامعة الانبار للعلوم الاسلامية.

4 السبت خالد بن عثمان. (1997). *قواعد التفسير جمعا ودراسة* (الإصدار 1، المجلد 1). السعودية: دار بن عفان للنشر والتوزيع.

5 الشاطبي،، تحقيق. (دت). *الموافقات* (الإصدار دط، المجلد 3). (تح:مشهور بن حسن آل سلمان) دار ابن عفان.

6 المتقي بن حسام الدين الهندي. (2010). *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال* (الإصدار 1). (تح: محمود عمر الدمياطي) القاهرة: دار الكتب العلمية.

7 بدر الدين الزركشي. (1990). *البرهان في علوم القران* (الإصدار دط، المجلد 3). (تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) مصر: مكتبة دار التراث.

8 بديع الزمان سعيد النورسي. (2002). *إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز* (الإصدار 3). (تح: إحسان قاسم الصالحي) القاهرة: دار سوزلز.

9 بومنقاش الرحموني. (دت). *الضوابط التداولية للنص الديني، التغيير النموذجي*. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث.

10 جلال الدين السيوطي. (1988). *لإتقان في علوم القرآن* (المجلد 1). (تح: أبو الفضل إبراهيم) بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.

11 جمال الدين فالح الكيلاني، و زياد احمد الصميدعي. (2014). *بديع الزمان سعيد النورسي قراءة جديدة في فكره المستنير* (الإصدار 1). (تقريض: نصر الدين أجدير) القاهرة، مصر: دار الزنبقة.

12 حمو الحاج ذهبية. (2012م). *لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب*، (الإصدار 2). تيزي وزو: دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع.

13 رشيد أعرضي. (1436 هـ - 2015م). *البرهان في علوم القرآن، تفسير الخطاب القرآني عند الألوسي* (الإصدار 1). دمشق، سورية: دار نينوى للدراسات والنشر.

14 شبكة ضياء للمؤثرات والدراسات والابحاث شبكة ضياء. (بلا تاريخ). *التحليل التداولي عند ابن عاشور*،. تم الاسترداد من https://dias.net.

15 طه عبد الرحمان. (دت). *تجديد المنهج في تقويم التراث* (الإصدار 2). الدار البيضاء، لبنان: المركز الثقافي العربي.

16 عبد السلام عشير. (دت). *عندما نتواصل نغير* (الإصدار دط). المغرب: إفريقيا الشرق.

17 محمد ابن تيمية. (1997). *مقدمة أصول التفسير*. (تح: محمد محمد محمود نصار، المحرر) القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.

18 محمد ولد سالم الأمين. (2004). *حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة* (الإصدار 1). طرابلس، الجماهيرية العظمى: فضاءات مجلة الفكر للنقد والثقافة منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر.

19 مسعود صحراوي. (2005). *التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني* (الإصدار 5). بيروت لبنان: دار الطليعة للطباعة و النشر.

20 نور الدين مومنين. (02 10, 2020). *لبعد التجاري للمثل المغربي مقاربة حجاجية*. تم الاسترداد من 1173 .http /dias.net//

21 Perelman, T. e. *traité de l'argumentation.* Bruxelles.